الإجابة العلمية على رسالة من تاب من الحزبية

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدم: وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وصلت مجموعةٌ من الأسئلة موجهةً إلى الشيخ محمد أمان بن علي الجامي حفظه الله، نبدأ بقراءة رسالةٍ وصلت من بعض الإخوة من هذه المدينة موجهةً إلى الشيخ حفظه الله.

يقول فيها كاتبها: بسم الله الرحمن الرحيم، فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي حفظك الله ورعاك وجعل الجنة مأواك، نرجو أن تصلك رسالتنا هذه وأنت في صحةٍ جيدة، ونعمةٍ سابغة، وراحةٍ دائمة، نرجو ذلك. نحن شبابٌ من جدة ولا داعي لذكر الحي الذي نحن فيه، استبان لنا الحق ووضح لنا الصواب –ولله الحمد–، وعرفنا بفضل الله ثم بفضل علمائنا أهل الفتوى والذين أنت منهم طريق النور بعد أن كنا نتخبط في دياجير الظلم، وأحببنا طريق السنة واتباع سلفنا الصالح، وأبغضنا كل من يهيج الشباب على ولاة الأمور حتى نشأ شبابٌ عندنا تربوا على مثلا هذه الأشرطة نشأةً ثورية، ملئها الحقد على ولاتنا وفقهم الله لطريق الرشاد، ونحن إذ نعيش في أوساط هؤلاء الشباب لنشعر بغربةٍ عظيمة ومرارةٍ قاسية، فقد اتهمونا بأننا نخطط على بعض الشباب لننظمهم معنا، ونعلمهم أفكارنا الخبيثة كما زعموا، إلى غير ذلك مما لا تتسع له هذه الورقة الصغيرة، ونحن الآن في أمس الحاجة إلى نصائحكم الغالية الثمينة الحبيبة إلى القلوب، ماذا نفعل مع هؤلاء المتعصبين؟ ولا تنسونا من صالح دعائكم، بارك الله فيكم.

ونريد الآن أن نأخذ من وقتكم الغالي بعضًا منه، لتجيبونا على بعض الاستفسارات المشكلة.

السؤال الأول: سمعنا لك في شريط النصح بترك الجماعات، تقسيم التجديد إلى أولًا تجديد اجتهادي، ثانيًا: تجديد شرعي، أو على الكتاب والسنة أو كلمةً نحوها، فما هو الدليل على التجديد الأول الاجتهادي؟ وهل هو مفخرةٌ لصاحبه ومدحٌ له لأنك ضربت مثلاً في الشريط بحسن البنا في معرض الثناء عليه؟

السؤال الثاني: هل الرجل الذي عنده بدعة إذا أخبرته بها وأقمت الحجة عليه بأنها بدعة وأصر على فعلها يكون بذلك كافرا؟

السؤال الثالث: ما هي أول بدعة؛ أهي بدعة الخوارج أم بدعة القدر أم بدعة القول بخلق القرآن؟ ونرجو تفصيل هذه المسألة.

الشيخ:

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على ذاك النبي الكريم والرسول الأمين، نبينا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

هذا شابٌ من شباب مدينة جدة، وأشار في الرسالة أن مع شباب، ولم يستحسن أن يذكر الحي الذي هو منه، فيصف الشاب ما وصل إليه من تلك الأشرطة التي تربوا عليها على حسب تعبيره، تربيةً ثورية، ملئها الحقد على ولاة الأمور –وفقهم الله لطريق الرشاد– يذكر الشاب نوعًا من المضايقة بعد رجوعهم إلى الحق من الذين لم يرجعوا وتعصبوا على ما وصلوا إليه من تلك الثورية التي وصفها، يتهمونهم بأنهم ينظمون ضدهم تنظيمات، ويلقبونهم بألقاب، فيطلب النصيحة بالنسبة للذين تعصبوا فلم يرجعوا إلى الحق، كيف يعاملونهم؟

الجواب: أولًا نهنئ هذا الشاب وزملاءه على هذا التوفيق، لا يقال لماذا أخطأوا؟ وهذه الكلمة غير واردة، والعتاب لماذا أخطأ فلان غير وارد، ولكن السؤال الذي يرد: إذا تبين الحق للإنسان وتعصب وبقي على ضلاله وخطئه هنا يقال: لماذا تعصب؟ لماذا لم يرجع؟ كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام: **«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**، فنحن نهنئ هؤلاء الشباب وأمثالهم من الذين تبين لهم الهدى والحق والصواب، فرجعوا وتابوا.

لعل قائلاً يقول: هل ارتكبوا ذنبًا؟ هل كانوا عصاةً حتى نقول أنهم تابوا ونهنئهم بالتوبة؟

الجواب: كل من يدعو إلى تفرق الأمة وتشتتها، وكل من يدعو إلى تفرق الشباب وإساءة الظن بعلماء المسلمين، وكل من يدعو إلى التمرد على ولاة الأمور قد عصى الله ورسوله، لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالاعتصام ونهى عن التفرق؛ إذ يقول الرب سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ هذه الآية العظيمة فيها الأمر وفيها النهي، فيها الأمر بالاعتصام والاجتماع والبقاء تحت الوحدة الإسلامية، وفيها النهي عن التفرق. ومن دعا على خلاف ما دلت إليه هذه الآية الكريمة من تفرق المسلمين وتشتتهم، وإيجاد جماعاتٍ متنافسة، جماعاتٍ سياسية متنافسة، وإن ادعت أنها جماعات الدعوة، ثم دعا الناس إلى نوعٍ من التمرد على السلطة ونال من علماء المسلمين واستخف بهم، من فعل هذا قد عصى، فهو عاصٍ؛ لمخالفته لمضمون هذه الآية، ولمخالفته لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

لذلك نعتبر هؤلاء الراجعون إلى الصواب وإلى الجادة تاركين بنيات الطريق ليرجعوا إلى الجادة نعتبرهم تائبين، فنسأل الله أن يُوفقوا إلى الإخلاص والصدق في توبتهم، حتى يفرح الله بتوبتهم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن إذا تاب إليه»، الموقف الذي تابوا منه ورجعوا ليس بالهين، موقفٌ خطير، الإسلام جاء بالوحدة وبالتوفيق، وكل من يحارب وحدة المسلمين ويدعو إلى تفرق المسلمين وتشتتهم ووجود جماعات متنافسة في المجتمع الإسلامي المسلم ويدعو إلى إيجاد جماعةٍ سياسيةٍ منافسةٍ للسلطة الإسلامية القائمة وقف موقفًا خطيرًا جدًا، لذلك أكرر أننا نهنئ شبابنا هؤلاء، ونرجو لغيرهم أن يتأسوا بهم، ليرجع شبابنا جميعًا إلى ما كانوا عليه قبل حدوث هذه الفتنة التي ظهرت جليًا –حسب ما يظهر لنا– من أيام حرب الخليج إلى يومنا هذا، وإن كانت قبل ذلك قد بدأت ولكنها ظهرت جليًا من ذلك التاريخ، ولكنها بحمد الله تعالى في إدبارٍ وليست في إقبال، وقد قلت غير مرة إن هذه الحركات المشوشة أشبه ما تكون بالثور المذبوح؛ الثور المذبوح ربما يرفع رأسه أحيانًا كأنه يقوم فيجري، فيخيف الناس، وهو إنما يضطرب ويتحرك ليموت لا ليحيا، لذلك هذه الحركات وهذه الجماعات وهذه

الثورة التي وصفها الشاب صاحب الرسالة إنما هي حركة الثور المذبوح، فستموت بإذن الله؛ إذ لا يبقى إلا الحق، هذه سنة الله في خلقه، الباطل قد تطول مدته حتى تكاد الناس تيأس، ولكن العاقبة للمتقين والباطل ينتهي.

وبعد:

ثم نجيب على سؤال الشاب الذي يسأل فيقول: سمعنا لك في شريطٍ الذي تنصح فيه بترك الجماعات، وتقسيم التجديد إلى تجديدٍ اجتهادي وتجديدٍ شرعي أو على الكتاب والسنة أو كلمة نحوها، فما هو الدليل على التجديد الاجتهادي؟ وهل هو مفخرةٌ لصاحبه ومدحٌ له لأنك ضربت مثلاً في الشريط بحسن البنا في معرض الثناء عليه؟

الشاب لم يهضم ما جاء في الشريط، ذكرتُ في الشريط إن التجديد ينقسم إلى قسمين:

تجديدٌ شرعيٌّ معناه دعوة الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة، إذا ابتعدوا عن الكتاب والسنة، هذا هو التجديد الذي قام به المجددون المصلحون الذين منهم الإمام أحمد بن حنبل، ومنهم الإمام أحمد بن تيمية، ومنهم هذا التجديد الذي نعيش أثره الإمام محمد بن عبد الوهاب، هذا التجديد معناه ليس الإتيان بشيءٍ جديد، ولكنه تجديدٌ لمفاهيم الناس، لما ابتعد الناس عن الحق، وجهلوا ما جاء به الكتاب والسنة أو تجاهلوا فأعرضوا عن الكتاب والسنة في العقيدة والشريعة وغيرهما، أيد الله للأمة من يجدد لها دينها، فجددوا لهم الدين بأن دعوا الناس إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة، هذا هو التجديد الذي تحدثتُ عنه بتوسعٍ في الشريط المشار إليه.

وأشرتُ إلى تجديدٍ آخر وهو التجديد الاجتهادي؛ بأن يجتهد شخصٌ في زعمه يريد الإصلاح، ولكن في تجديده لم يتقيد بالكتاب والسنة، وضع لوائح وشروط لجماعته، فدعاهم إلى ما رأى باجتهاده أنه فيه الصلاح وعليه تجتمع الأمة، سميت هذا التجديد الاجتهادي؛ لأنه في زعمه يريد أن يجتهد، وقلت: إن مثل هذا التجديد لا يبقى، بعد ذهاب المجدد سيذهب لأنه لا أساس له، وضربت مثلاً بحسن البنا، وفي الواقع في تلك اللحظة نظري إلى حسن البنا يخالف نظري إلى حسن البنا اليوم، لأني في تلك اللحظة لا أزال أنظر

إليه أنه يريد الإصلاح وأن حركته حركةٌ إسلاميةٌ إصلاحيةٌ اجتهادية وإن لم يُوفق، ولكن تبين لي فيما بعد أنها حركةٌ سياسيةٌ ومية لا تفرق بين المسلم وغير المسلم في التكوين؛ إذ يوجد في تكوين تلك الجماعة المسلمون وغير المسلمين، بل هي جماعةٌ تهدف إلى إيجاد جماعةٍ قوميةٍ سياسيةٍ منافسةٍ للحركات السياسية الأخرى، هذا ما انتهيتُ إليه.

ولذلك فهم الطالب مني بأني ذكرته في معرض الثناء عليه والمدح، وله بعض الحق في ما قال، وفقه الله.

السؤال الثاني: يقول السائل: هل الرجل الذي عنده بدعة إذا أخبرته بها وأقمت الحجة عليه بأنها بدعة وأصر على فعلها يكون بذلك كافرًا؟

حاشا، كون الإنسان يكفر بالبدعة وهذا الإطلاق خطأ، كما سيأتي أن البدع أقسام: بدعةٌ مكفرة، كبدعة الجهمية، وبدعة غلاة الروافض، أما ما دون ذلك لو ارتكب الإنسان بدعةً في عبادته، في صيامه، في صلاته، في بعض تصرفاته، وبينتَ له بأن هذا العمل مبتدع، صيام النصف من شعبان وإحياء تلك الليلة بدعة، والاحتفال باسم المولد النبوي بدعة، بينت له، وأصر على ذلك، لا يكون بذلك كافرًا، بل إنما اسأل عن موقفك أنت منه، إذا نصحتَ العاصي والمبتدع وأصر عليك أن تقاطعه وتهجره، هنا محل الهجران، لكن التكفير لا، المسلم لا يكفر بارتكاب بدعةٍ غير البدع المكفرة التي أشرنا إليها، وبارتكابه للمعصية ما لم يستحلها كما سبق بيان ذلك، لذلك الإطلاق أن من ارتكب بدعةً ونُصح وبُيِّن له الحق ثم أصر على ذلك أنه يكفر هذا خطأ، لا يكفر.

السؤال الثالث: ما هي أول بدعة؛ أهي بدعة الخوارج أم بدعة القدر أم بدعة القول بخلق القرآن؟ ونرجو تفصيل هذه المسألة.

الجواب: أول بدعةٍ ظهرت في الإسلام، وأول فرقةٍ سياسيةٍ ظهرت وتمردت على السلطة الإسلامية القائمة هي الخوارج؛ الخوارج ظهروا في عهد عليٍ رضي الله عنه، واجتمع عددٌ منهم؛ يختلف علماء التاريخ في تحديد هذا العدد، وآخر ما وقفت عليه ستة آلاف مقاتل، اجتمعوا في مكانٍ يقال له حروراء، فأراد عبد الله بن عباس أن يذهب إليهم

ليستتيبهم وينصحهم ويحاورهم، فقال عليٌ: إني أخاف عليك، فقال: لا تخف، وللاختصار: ذهب إليهم وناقشهم، فتاب من ستة آلاف مقاتل ألفان مقاتل، فقاتل عليٌ البقية الباقة، هذه قصة ظهورهم باختصار، ظهروا واستحلوا قتال علي ومن معه، حتى بين لهم عبد الله بن عباس أنهم على الباطل، وبأن عليًا ومن معه هم الذين حضروا الوحي وهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولستم أنتم منهم... إلى آخر النقاش الطويل، حتى هدى الله منهم ألفي مقاتل، فهنيئًا لابن عباس؛ فقد هدى الله على يده هذا العدد الضخم، ثم بعد ذلك قاتلهم عليٌ، هذه أول فرقةٍ سياسيةٍ متمرة خرجت على السلطة في تاريخ الإسلام.

بعد ذلك ظهرت الشيعة؛ والشيعة بالغوا في علي فقالوا: أنت إلهنا، فلم تنفع فيهم النصيحة والتوجيه، فاضطر عليٌ أن يحرق كبارهم، حيث قال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا *** أججتُ ناري ودعوتُ قنبرا

قنبر خادمه، دعاه فحرقهم، لأن الخوارج وإن ضلوا يتعلقون بالنصوص ويؤولون النصوص ويحرفون، في إمكان الإنسان أن يناقشهم، لكن الروافض ابتعدوا عن النصوص، لا يقبلون النصوص إلا الأدلة العقلية حتى الآن، لذلك هم أشر، واضطر عليٌ رضي الله عنه إلى أن حرق كبارهم.

بعد ذلك القدرية؛ القدرية جاءت متأخرة بدليل أن ابن عباسٍ قد كُف بصره عند ما ظهرت القدرية؛ لذلك كان يتمنى وهو لا يبصر أن تقع رقبة أحدٍ منهم في يده حتى يكسرها، هكذا كان يتمنى رضي الله عنه لأنه قد كُف بصره في ذلك الوقت.

هذه الفرق الثلاثة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وتعتبر الفرق السياسية التي ظهرت في عهد علي رضي الله عنه.

وأما بدعة القول بخلق القرآن، فالسؤال فيها يحتاج إلى تصحيح، بدعة القول بخلق القرآن ليست بدعة مستقلة قائمة بنفسها، هي بدعة المعتزلة، المعتزلة ظهرت كما يعلم الجميع في عهد المأمون العباسي في عهد العباسيين، هم الذين قالوا بخلق القرآن ودعوا إلى

خلق القرآن، وشجع المأمون في بداية حياته إلا أنه هلك قبل أن يلتقي بالإمام أحمد، لما تمكنت منه المعتزلة، وهي بطانته وهي بطانة سوء، أثرت فيه في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات، أراد المأمون أن يستغل سلطانه ليحمل الناس جميعًا على القول بخلق القرآن ونفي الصفات، وكان الإمام أحمد مشهورًا بإمامته (إمام أهل الحديث)، فطلبه، فحُمل إليه، وفي طريقه إليه وكان المأمون خارج بغداد هلك المأمون، فرُد الإمام إلى بغداد، فتولى تعذيبه المعتصم بالله والواثق بالله، هؤلاء الخلفاء الثلاثة يعتبرون من خلفاء المعتزلة، هكذا ظهرت مسألة خلق القرآن أي: من المعتزلة، ليست هي مستقلةً بعينها، ولكنها عقيدة من عقائد المعتزلة.

ولعل هذا التفصيل يكفي.

س: ما معنى تسلسل الحوادث؟ وماذا يلزم من هذه القولة؟

ج: تسلسل الحوادث هذا الأسلوب أسلوب أهل الكلام بل في الأصل أسلوب الفلاسفة؛ لأن الحوادث متسلسلة في الماضي وفي المستقبل؛ أي ما من حادثٍ إلا وقبله حادث، هذا معنى تسلسل الحوادث، تسلسل الحوادث قد يفهم منه بعض الناس قدم الحوادث، وهذا باطل ومتناقض؛ لأن الحادث هو ما حدث ووُجد بعد أن لم يكن، القول بأنه حادث ثم القول بأنه قديم متناقض؛ لا يقال: الحوادث قديمة، لأنها حوادث حدثت بعد أن لم تكن، بل الواجب الذي يجب أن يقال وقاله الإمام ابن تيمية وأخطأ الناس في كلامهم، يقول: كل ما عدا الله محدثٌ موجودٌ بعد أن لم يكن.

ويختلف أهل العلم في أول المخلوقات، هل القلم أو العرش؟ لذلك نسبة القول إلى الإمام ابن تيمية بأنه يقول بقدم الحوادث نسبة باطلة والكلام غير صحيح ومتناقض، أولًا: القول بقدم الحوادث، وصفها بالحوادث ثم بالقدم متناقض، لأن الحوادث كل ما حدث بعد أن لم يكن، ثم الذي قالته الفلاسفة وكفَّر الإمام ابن تيمية الفلاسفة من أجله ذلك القول هو قدم العالم، وهذا باطل، باطلٌ عقلاً وشرعًا، والإمام ابن تيمية صرح بتكفيره للفلاسفة لأجل هذا القول، وقد ينسب خصومه إليه هذا القول الذي هو كفَّر فيه قائله،

ينسبونه إليه، وهذا إما سوء قصدٍ أو سوء فهم، أو هما معًا، وهو غير صحيح، هذا تسلسل الحوادث بالنسبة للماضي.

وتسلسل الحوادث بالنسبة للمستقبل فالحوادث متسلسلةٌ في المستقبل، ولكنها لا تبقى، البقاء لله وحده، إلا ما أبقاه الله، البقاء الذاتي لله، من أسماء الله تعالى الباقي، الوارث الباقي، لكن الله قد يعطي بعض المخلوقات بقاءً سرمديًا دائمًا كالجنة ونعيمها وسكانها، والنار وعذابها وسكانها، هذا إبقاءٌ من الله، حكمةً منه، وليس البقاء وصفًا ذاتيًا لا للجنة وأهلها ولا للنار وأهلها وعذابها، إنما لإبقاء الله تعالى إياها.

إذًا الحوادث مهما تسلسلت في المستقبل إنها تنتهي، البقاء لله وحده.

س: يسأل السائل عن كتابٍ سماه الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

ج: رأيي فيها أنصح الشباب بعدم قراءتها، إذ فيها خلطٌ وخبط، وذكر نبذةً صغيرة من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب صاحب هذه الموسوعة، وجعل هذه الدعوة ضمن المذاهب المعاصرة هذا عين الخطأ، قبل أن يُقرأ الكتاب عند ما يذكر أهل العلم الفرق والأديان يعنون ما عدا الإسلام، أي الفرق المنتسبة إلى الإسلام، المعتزلة والخوارج والقدرية والمرجئة والأشاعرة، لا يدخلون الإسلام في تعداد هذه الفرق وهذه المذاهب المعاصرة، إدخاله دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين هذه المذاهب المعاصرة هذا خطأٌ وخلطٌ من المؤلف وإن كان الموسوعة ليس لها مؤلفٌ معين، وفيها دعوة مريبة، ومنظمة الشباب من حيث هي –كما حدثني غير واحدٍ من الثقات الذين يخرجون معهم في خارج هذه البلاد– أكثر من فيها من المنتسبين والمنظمين لهذه الندوة من الذين ينطقون بغير اللغة العربية، اللغة الرسمية للندوة إذا حصل الاجتماع والندوات والمؤتمرات والاجتماعات في خارج هذا البلد لغتهم الرسمية اللغة الإنجليزية.

لذلك كثيرٌ من الناس ما يدرون ماذا يتحدثون وماذا يريدون، ولكن كما قال زهير:

ومهما يكن عند امرئٍ من خليقةٍ ❊❊❊ وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

إن من الشعر لحكمة؛ ظهرت نواياهم، نوايا سيئة جدًا نحو هذا البلد وعقيدة هذا البلد، وسلطة هذا البلد، على الرغم بأن هذا البلد هو الذي ينفق على تلك الدعوة نفقةً سخيةً لا مثيل لها.

وعلى كلٍ؛ من يريد أن يعرف عن هذه الندوة والموسوعة عليه أن يتصل بالشباب المثقفين الذين كانوا معهم، ثم تابوا، فرجعوا، وبيّنوا حقائق كنا نجهلها، فنسأل الله السلامة والعافية.

أما الآن فنقرأ ما تيسر من درسنا بتوفيق الله تعالى.

الطالب: قال الشارح رحمه الله تعالى: **[يقول المؤلف: إن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقدًا ولا بغضًا ولا احتقارًا، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان}... الآية، فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم بإحسانٍ يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثنائهم عليهم، وهم أهل لذلك الحب والتكريم؛ لفضلهم، وسبقهم، وعظيم سابقتهم، واختصاصهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم، فما وصل لأحدٍ علمٌ ولا خبرٌ إلا بواسطتهم، وهم يوقرونهم أيضًا طاعة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث نهى عن سبهم والغض منهم، وبيَّن أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم، وصادق إيمانهم. وأما قوله: "ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل"؛ لورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى} [الحديد: ١٠]. وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية؛ فذلك هو المشهور، وقد صح أن سورة الفتح نزلت عقيبه. وسُمي هذا الصلح**

فتحًا؛ لما ترتب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الإسلام، وقوته وانتشاره، ودخول الناس فيه"].

تعليق الشيخ: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، وبعد:

موضوع الدرس بيان أصول أهل السنة والجماعة في موقفهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو بيان موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام.

يقول الشارح: يقول المؤلف –أي شيخ الإسلام ابن تيمية-: إن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يطعنون عليه.

الازدراء: هو الاستحقار والاستخفاف، لا يستحقرونهم، ولا يطعنون فيهم، وإن كانوا لا يعتقدون فيهم العصمة، فيعلمون أنهم قد يخطئون وتحصل منهم أخطاء وهفوات، ولكن لسبقهم إلى الإسلام، وما بذلوا في نصرة النبي عليه الصلاة والسلام، ونصرة الإسلام، وما بلغوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الأمة من الكتاب والسنة، وهذا الخير الذي نحن فيه ما جاء إلا على أيديهم، لذلك كله لا يذكرون مساوئهم ولا يطعنون فيهم، في صغيرهم وكبيرهم، الذين أنفقوا قبل الفتح أو الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا، كلهم يجب أن يكونوا محل احترامٍ وتقديرٍ إذا كنت سنيًا.

لذلك يقول الشيخ رحمه الله الشارح: فارقوا بذلك من عداهم من أهل الزيغ والضلال. كل من يطعن في أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام سواءٌ كانوا من الخوارج، أو من النواصب، أو من المؤخرين الجدد المقلدين الذين يتحيزون لصحابيٍ ليطعنوا في صحابيٍ آخر، أو يتحيزوا لبعض الصحابة ليطعنوا في البعض الآخر، هؤلاء كلهم في ضلال.

ولا يحملون حقدًا؛ ولا يحملون للصحابة حقدًا، ولا بغضًا فلا يبغضونهم، ولا يحقدون عليهم، ولا يخفضون من مكانتهم، ولا يحتقرونهم، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك

كله براء، لا يكتبون ضدهم ولا يتكلمون ضدهم، يحفظون ألسنتهم وأقلامهم، فيقولون: إذا كان الله سبحانه وتعالى قد صان رماحنا من دمائهم فيجب علينا أن نصون ألسنتنا وأقلامنا من أعراضهم، هذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة.

ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ [الحشر: ١٠]، فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين ممن اتبعوهم بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأن محبتهم من الإيمان، كما قال الإمام الطحاوي: محبتهم من الإيمان وبغضهم كفرٌ ونفاق؛ لأن محبتهم من محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وثنائهم عليهم يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم أهلٌ لذلك الحب والتكريم، أصحاب رسول الله أهلٌ لذلك الحب ولذلك التكريم، لسبقهم وفضلهم عظيم سابقتهم، سبقوا إلى الإسلام، سبقوا إلى نصرة النبي عليه الصلاة والسلام وسنته، واختصاصهم بالنبي عليه الصلاة والسلام، قومٌ خصهم الله بصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، واختارهم وخصهم بصحبة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم لإحسانهم إلى جميع الأمة، أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام محسنون إلى جميع الأمة، وتعيش الأمة اليوم إحسان أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ذلك لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم، فما وصل لأحدٍ علمٌ ولا خبرٌ بل ولا خير إلا بواسطتهم، لم تصلنا آية إلا مرت عليهم، ولا حديثٌ إلا مر عليهم، حفظة كتاب الله، حملة كتاب الله، حملوا إلينا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، قومٌ نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، قومٌ أقاموا الكتاب وبه قاموا، حافظوا على الكتاب فحفظهم الله، أمثال هؤلاء الواجب محبتهم وتقديرهم والترضي عليهم وغض النظر عن ما صدر منهم من أخطاء، وكل ما جرى بين الصحابة إنما جرى باجتهادٍ منهم، وليس في أحد الطرفين من يريد شرًا، الكل يريد الخير المصيب والمخطئ، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، وأمرهم إلى الله.

لذلك قد أحسن من قال وإن كان أشعريا من الإنصاف أن نعترف بأنه وُفق في هذا، وبالمناسبة الأشاعرة يوافقون أهل السنة والجماعة في موقفهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي موقفهم مما جرى بين أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، لذلك يقول قائلهم:

وما جرى بين الصحاب نسكتُ *** عنه وأجر الاجتهاد نثبتُ

هذا قاله أحمد بن رسلان، أحد علماء الشافعية، وهو أشعريٌّ، ولكنه قال الحق، فيجب أن يؤخذ الحق عن كل من قاله.

قال الشارح رحمه الله تعالى: لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم، فما وصل لأحدٍ علمٌ ولا خبرٌ إلا بواسطتهم، وهم يوقرونهم أيضًا طاعةً للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. توقيرهم وتعظيمهم ومحبتهم والدفاع عنهم طاعةٌ للنبي عليه الصلاة والسلام، حيث نهى عن سبهم، والغض عنهم، وبيَّن أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم؛ الأعمال إنما تتفاوت بتفاوت الناس في الإخلاص، أناسٌ يعملون عملاً واحدًا يُكتب لأحدهم ما لا يُكتب للآخر، مثل الصلاة، الناس كلها تصلي، منهم من تُكتب له صلاته كلها، ومنهم من يُكتب له النصف والربع والعشر، ذلك لحضور القلب والخشوع والإخلاص، فأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يفوقون الناس جميعًا في إخلاصهم وصدق إيمانهم، لذلك إن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم.

وأما قوله: "ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل"؛ لورود النص القرآني بذلك؛ أي إن الإمام ابن تيمية كما قلت لكم غير مرة: لو تأملتم في هذه الرسالة يسوق النصوص بالمعنى، كأنه يروي الأحاديث بالمعنى، وكأنه يأتي بمعاني القرآن، لذلك قوله: (ويفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل)، لورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من**

الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠]. هذا من فضله وكرمه سبحانه، كلاً: الذي أنفق قبل الفتح والذي أنفق بعد الفتح وقاتل، كلاً وعد الله الحسنى، ولكن الناس تتفاوت في الثواب والأجر ودرجات الجنة.

وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية؛ فذلك هو المشهور، وإن كانت المسألة خلافية، لكن المشهور هو هذا، وقد صح أن سورة الفتح نزلت عقيبه. وسُمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الإسلام، وقوته وانتشاره، ودخول الناس فيه، فتح مكة أثرٌ من آثار صلح الحديبية وإن كانت الشروط التي أملت قريشٌ شروطًا قاسية جدًا حتى لم يتحملها عمر رضي الله عنه، لما سمع تلك الشروط أن من يأتي من قِبل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى قريشٍ بأنه لا يُرد، ومن أتى من قِبل قريشٍ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يُرد، استصعب عمر هذا الشرط، فجاء إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس هو رسول الله؟ قال: بلى، قال: ألسنا على الحق؟ قال: بلى، قال: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى، قال: فلماذا نقبل الدنية في ديننا؟ ماذا كان جواب أبي بكر؟ قال: "هو رسول الله"، إنما يتكلم بالوحي، لم يقتنع بهذا، فجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال له: ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: ألسنا على الحق؟ قال: بلى، قال: أليسوا على الباطل؟ قال: بلى، قال: فلماذا نقبل الدنية في ديننا؟ قال: إني رسول الله، هكذا تأثر القوم كثيرًا من تلك الشروط التي منها هذا الشرط، ومع ذلك قبِلَها رسول الله عليه الصلاة والسلام والصحابة في نفوسهم الشيء الكثير من قبولها، أراد الله أن يجعل فتح مكة أثرًا من آثار قبول صلح الحديبية أو شروط كفار قريش في صلح الحديبية، حتى دخل بنو بكرٍ في حلف قريش، والخزاعة في حلف رسول الله عليه الصلاة والسلام، لحكمةٍ يعلمها الله حصل نزاعٌ وقتالٌ بين بني بكرٍ وبين خزاعة، فساعدت قريشٌ حلفائهم بني بكر، من هذا اعتُبر أنهم نقضوا العهد، وحلَّ للنبي عليه الصلاة والسلام قتالهم، بسبب هذا قاتل ففتح مكة، هكذا جعل الله في ذلك الصلح خيرًا كثيرًا، ولهذا سُمي صلحًا.

الطالب: [قال الشارح رحمه الله: وأما قوله: ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار فلأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أن في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين، وقد رُوي عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة: "نحن المهاجرون، وأول الناس إسلامًا، أسلمنا قبلكم، وقُدّمنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء".

وأما قوله: "ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر... " إلخ ؛ فقد ورد أن عمر رضي الله عنه لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرًا لكتابته كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»].

تعليق الشيخ: ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار.

أهل السنة والجماعة مع احترام الجميع وتقدير الجميع ومحبة الجميع يقدمون المهاجرين على الأنصار، لأن المهاجرين جمعوا بين الوصفين؛ النصرة والهجرة، والأنصار لهم وصفٌ واحد؛ ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة المبشرين بالجنة من المهاجرين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة؛ أي تقديم المهاجرين على الأنصار في الجملة، بصرف النظر عن ما قد يقع لبعض الأفراد من الأنصار، قد يكون أفضل من بعض المهاجرين، فلا ينافي أن في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين، وقد رُوي عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة، عند ما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للحوار ولتقديم من قدمه النبي عليه الصلاة والسلام للخلافة وهو أبو بكر، أبو بكر إنما دافع ذلك الدفاع لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي قدمه، فتقديم النبي له ليس مجرد ترشيح بل تعيينٌ من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الذي يدل على التعيين أمران اثنان:

الأمر الأول: قصة المرأة التي جاءت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألته سؤالًا فقال لها: ائتيني غدًا، قالت: إن لم أجدك؟ -هكذا أنطقها الله-، قال أهل الحديث: أي لو مت أنت آتي من؟ قال لها: ائتِ أبا بكرٍ، في هذا تعيينٌ بأن أبا بكرٍ هو الخليفة بعده.

ثم تقديمه للناس ليصلي بهم في مرضه عليه الصلاة والسلام، لذلك قال عليٌ: وقد قدمه النبي عليه الصلاة والسلام في ديننا أفلا نرضاه في دنيانا؟ إذا كان النبي قد رضي للمسلمين أن يتقدم فيصلي بهم والنبي حي، فكيف لا نرضاه أن نقدمه في دنيانا ليسوسنا ويدبر أمورنا؟ هكذا الفهم وهكذا الفقه.

لذلك قال في خطبته يوم السقيفة: **"نحن المهاجرون، وأول الناس إسلامًا"**؛ نحن المهاجرون جمعنا بين النصرة والهجرة، وأول الناس إسلامًا سبقوا إلى الإسلام، قبل أن يأتي الإسلام إلى المدينة، **"أسلمنا قبلكم، وقُدّمنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء"**. لم يقل إلا الحق والصواب، وكما قلت: إنما وقف ذلك الموقف الحاسم والحازم اعتمادًا منه رضي الله عنه بعد الله على تعيينه له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه معينٌ من النبي عليه الصلاة والسلام ليكون خليفة، وأجمع المسلمون بعد ذلك على خلافته، ثم على خلافة عمر، ثم على خلافة عثمان وعلي، الخلافة كلها محل إجماع، وكما تقدم إنما حصل النزاع بين بعض أهل العلم في التفضيل بين عثمان وبين علي، أما الخلافة فمحل إجماعٍ بين الأربعة.

وأما قوله: "ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر... " إلخ ؛ فقد ورد أن عمر رضي الله عنه لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرًا؛ حاطب يعيش في قريشٍ وليس منهم، وأراد أن يجعل له يدًا عندهم، ليحفظوا أقاربه الذين تركهم بينهم وهاجر وهو من المهاجرين، يقول: كان ملصقًا في قريش وليس منهم، والقوم يحفظون من خلَّفوهم لأنهم كلهم من قريش إلا هو وليس منهم، وأراد أن يثبت له يدًا عندهم، هكذا صدق، لما صدق في الاعتذار قبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذره، فكتب لهم، فالنبي عليه الصلاة والسلام

كتم، لما عزم على الغزو لم يخبر أحدًا إلا أبا بكر، فأبو بكر قال له: يا رسول الله، أليس بينك وبينهم عهد؟ قال: بلى ولكنهم نقضوا، لما وقفوا مع بني بكرٍ ضد خزاعة نقضوا العهد، ولكن استكتمه، إلا أن الخبر تسرب وعلم حاطبٌ، لما توجه النبي عليه الصلاة والسلام، لما نادى في الناس بالجهاد والغزو لم يخبرهم إلى أي جهةٍ يتوجه، وبأي طريقةٍ علم حاطب فكتب لقريشٍ بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوجهٌ إليهم غازيًا، إنما فعل ذلك لما ذكرتُ، ولما صدق قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر: **"وما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"**، والرجل بدريٌّ، إذًا لا يُقتل، وإن أخطأ، وهذا الخطأ خطأٌ باجتهاد.

عند ما يعدد الإمام ابن تيمية رحمه الله أخطاء المجتهدين يذكر في طليعة أخطاء المجتهدين خطأ حاطب؛ هكذا أهل العلم يثبتون الأخطاء ويعترفون بأن هذا الخطأ وقع عن اجتهاد، لا عن كفرٍ، ونفاق، أو عن ابتداع، ولا يمنعون الناس من الترضي على من أخطأ أو من ابتدع.

الطالب: قال الشارح رحمه الله: **[وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة.... إلخ فلإخباره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فهذا الرضا مانعٌ من إرادة تعذيبهم، ومستلزمٌ لإكرامهم ومثوبتهم.**

وأما قوله: ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة، أما العشرة فهم: أبو بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، الزبير، وسعد بن أبي وقاصٍ، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وأما غيرهم فكثابت بن قيس وعكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام، وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة.

وأما قوله: ويؤمنون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكرٍ وعمر؛ فقد ورد أن عليًا رضي الله عنه قال ذلك على منبر

الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير، وكان يقول: ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكرٍ حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر].

تعليق الشيخ: يقول الشارح رحمه الله تعالى: وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة.... إلخ فلإخباره - بذلك؛ فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، ولقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، لذلك نؤمن بأنه لا يدخل النار أحدٌ ممن بايعوا تحت الشجرة، فهذا الرضا من الله مانعٌ من إرادة تعذيبهم، ومستلزمٌ لإكرامهم ومثوبتهم، ذلك الفضل من الله.

وأما قوله: ويشهدون -أي أهل السنة والجماعة- بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة الذين عددهم، هؤلاء الذين جاء ذكرهم من العشرة المبشرين، وغيرهم كثابت بن قيس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام، وخديجة رضي الله عنها أم المؤمنين، وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة، كل أولئك يجب التصديق وأنه من أهل الجنة، وتصديق ذلك من الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن يكذب ذلك ويشهد بالنار على من بشره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة فهو كافرٌ لأنه مكذبٌ لرسول الله عليه الصلاة والسلام، من يقول: إن أبا بكرٍ في النار وعمرٌ في النار، ويقول: هما سنمي أهل النار فهو كافر، لتكذيبه لرسول الله عليه الصلاة والسلام، من ارتكب مثل هذه المكفرات من نواقض الإسلام لا تنفعه صلاته، كثيرٌ من الناس يقولون: كيف نكفِّر من يصلي ولو سب الله، ولو سبَّ رسول الله؟ ولو كذب رسول الله؟ هذا خطأ، كونه يصلي لا يمنع من تكفيره والحكم عليه بالردة بعد أن حكم عليه النبي عليه الصلاة والسلام بالردة، وكل من كذّب الله وكذّب رسوله عليه الصلاة والسلام دل ذلك على فساد قلبه وخراب قلبه، فخراب القلب هو أساس الكفر.

لذلك ينبغي أن يتحفظ الإنسان في مثل هذا الموقف، خصوصًا بالنسبة للصحابة، في هذا الوقت يكثر الكتاب العصريون الذين يطعنون في كثيرٍ من الصحابة، وهذا الطعن ربما

يترتب عليه الكفر إن وقع في ذلك تكذيبٌ لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فليتحفظ الإنسان وليحترم إيمانه.

ثم قال: وأما قوله: ويؤمنون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكرٍ وعمر؛ هذا محل إجماع، فقد ورد أن عليًا رضي الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير. يشير الشيخ بهذا إلى أن المسألة محل إجماع بين المسلمين، وكان يقول: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكرٍ؛ أي لم يترك الأمر ملتبسًا، وقد علم المسلمون قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله، وصحبه.

في آخر هذا الدرس نناقش مسألةً فقهيةً تتعلق بصلاتنا، يختلف فيها دائمًا بعض أهل العلم، لنبين حسبما يظهر لنا القول الراجح في هذه المسألة، لأنها مسألةٌ مهمةٌ تتعلق بصحة الصلاة، وهي مسألة وجوب قراءة الفاتحة على المأمومين، سواءٌ جهر الإمام أو أسر.

قراءة فاتحة الكتاب ركنٌ من أركان الصلاة، إلا أن الاختلاف بين أهل العلم فيما إذا جهر الإمام بالقراءة هل يكتفي المأموم بمجرد الاستماع والإصغاء ويعتبر ذلك له قراءةً؟ أو أنه يقرأ؟ هذه النقطة هي التي يختلف فيها علماء الحديث أنفسهم، فالإنسان في مثل هذه المسائل إن كان طالب علمٍ يحاول الجمع قبل الترجيح، الجمع والتوفيق قبل الترجيح، إن ثبت لديه نسخٌ فذاك بشرط أن يكون الدليل الناسخ دليلاً صحيحًا لا يثبت النسخ إلا بدليلٍ صحيح، القول بأن قراءة الفاتحة في الجهرية منسوخ فيحتاج إلى دليلٍ صحيح، وإذا لم يصح ذلك ينتقل الطالب العلم إلى التوفيق بين الأدلة قبل الترجيح.

الأدلة التي دلت على وجوب الاستماع والإصغاء من الكتاب والسنة، والأدلة التي دلت على وجوب القراءة مطلقًا: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**، الأولى والأحوط للمرء أن يختار هذا التوفيق وهذا الجمع، وهو أن القراءة واجبة على المأموم كما تجب على الإمام والمنفرد، أسر الإمام أو جهر، إلا وقت يجب عليه أن يقرأ، والتوفيق بين أدلة إيجاب

الفاتحة وأدلة الإصغاء أن الإصغاء خاصٌ في غير وقت قراءة الفاتحة، أي عليك أن تصغي إلا حال قراءة الفاتحة، وقراءة الفاتحة لم يأتِ تحديد وقتها؛ لك أن تقرأ الفاتحة مع الإمام سرًا، تتبع الإمام، ولك أن تقرأ الفاتحة إن وسع لك الوقت في سكتة الإمام وهذه فترةٌ لا تسع، ولك أن تقرأ حين يقرأ هو ما تيسر من القرآن بعد الفاتحة، وعلى كلٍ القراءة لا بد منها دون تحديدٍ لزمن قراءتها، بهذا تجتمع الأدلة ويسلم الإنسان، وتطمئن نفس المسلم بأنه قام بما يجب عليه.

هذه المسألة هي طويلة الذيل بالنسبة لطالب علمٍ يريد أن يناقش الأدلة، لكن بالنسبة لعوام المسلمين الذي ننصح به عدم التساهل في قراءة الفاتحة، بل هي ركنٌ من أركان الصلاة كالركوع والسجود، سواءٌ جهر الإمام بالقراءة أو أسر، فعلى المرء أن يحتاط لدينه، وخصوصًا لصلاته الركن الثاني من أركان الإسلام، فيحافظ على قراءة الفاتحة مطلقًا.

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه.